دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 36، العدد 2، 2009

أسلوب الشرط في صحيحي البخاري ومسلم - دراسة وصفية تحليلية

ياسر بن إسماعيل *

ملخص

يسعى هذا البحث نحو دراسة الجملة الشرطية في الصحيحين، وتقتصر الدراسة على الجمل الشرطية التي تستخدم أدوات الشرط التي حددها النحاة، فيدرس الأدوات المستخدمة في الصحيحين، ويعرض صورة العبارة الشرطية والعبارة الجوابية التي وردت مختلفة عما قعده النحاة، كورود الفعل المضارع مرفوعاً في جواب الشرط، أو اقتران الفعل المضارع بـ (قد) في جواب الشرط دون اقترانه بفاء الربط، ويكشف البحث حالة الجملة الشرطية عندما يتقدمها القسم أو عند دخول أدوات أخرى مختلفة عليها، كما يبين البحث أوجه الحذف في الجمل الشرطية الواردة، وأوجه توسيعها، ويختتم البحث ببيان أوجه الاستفادة من نتائج البحث في مجالات تعليمية وتطبيقية.

الكلمات الدالة: اسلوب الشرط، صحيح بخاري، صحيح مسلم.

المقدمة

يقتصر البحث على دراسة الجمل الشرطية الواردة في الصحيحين التي تستخدم أدوات الشرط التي حددها النحاة، وقد استعان البحث في دراسة صور الجمل الشرطية الواردة وأحوالها بآراء النحاة وملاحظاتهم، ويهدف البحث إلى تحليل جوانب لغوية مختلفة من الجمل الشرطية الواردة، فيكشف حالة الجملة الشرطية من الناحية التركيبية والدلالية حينما يتقدمها القسم أو عند دخول أدوات أخرى مختلفة عليها. كما يبين البحث مواطن الحذف في تلك الجمل الشرطية، وصور توسيعها.

الأدوات الشرطية الواردة في الصحيحين

درس النحاة العرب الجملة الشرطية وتحدد لديهم أن الجملة الشرطية هي التركيب الذي ينبني على أدوات شرطية معينة، تقوم بربط طرفي التركيب الشرطي فعل الشرط وجوابه[1]. ويمكن تقسيم الأدوات الشرطية حسب دراستهم لها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: أدوات شرطية جازمة، وهي: (إن، ومن، وما، ومهما، أي، متى، أيان، أين، حيثما، أنّى، إذما).

ثانياً: أدوات شرطية غير جازمة، وهي: (لو، أما [2]، لولا، لوما)[3]

ثالثاً: ظروف تتضمن معنى الشرط، وهي: (إذا، لما، كلما، بينا، بينما)[4].

تدل هذه النتائج أن أكثر الأدوات وروداً في الصحيحين هي (إن) 29%، و(من) 26%، و(إذا) 25%، و(لو) 11%، فهذه الأدوات الأربع تشكّل ما نسبته 91%، أما بقية النسبة أي 9% فتتقاسمها الأدوات: (لولا، أي، ما، بينما، كلما، لـمّا، حيثما، أينما، مهما). وهناك أدوات شرطية لم ترد في الصحيحين وهي: (إذما، متى، أيان، أين، أنّى، لوما، بينا، كيف).

صور الفعلين الواقعين في طرفي التركيب الشرطي الواردة في الصحيحين

الفعل المضارع هو الأصل الذي يأتي في طرفي التركيب الشرطي عند النحاة، يقول المبرد:[5]" أصل الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة لأنه يعربها، ولا يعرب إلا المضارع ". ومن خلال الإحصاء وجد الباحث أن الفعل المضارع استُخدم في طرفي التركيب الشرطي للجمل الشرطية الواردة في الصحيحين في 109 شواهد، ومن بين تلك الشواهد ورد وقوع الفعل المضارع مرفوعاً في جواب الشرط لأداتين جازمتين وهما: (إن) و(من).

---

* قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ماليزيا. تاريخ استلام البحث 2007/5/28، وتاريخ قبوله 2008/5/28.

© 2009 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أما الأدوات الشرطية الواردة في الصحيحين فكما يلي:

الأداة	إن	من	إذا	لو	لولا	أي	ما	بينما	كلما	لما	حيثما	أينما	مهما
التكرار	958	861	839	360	78	61	53	21	14	13	6	5	2

النسبة 29%، 26%، 25%،11%

%91 %9

ورد جواب (إن) مضارعاً مرفوعاً في أربعة شواهد، وهي:

(البخاري رقم 6573) (لعلي **إِن أَعطيتُكَ** ذَلِك **تَسألُني** غَيرهُ)

(البخاري رقم 6173) (**إِن يَكُن هُوَ لا تُسَلطُ عَلَيهِ** وإِن لم يكُن هُو فَلا خَير لَك فِي قَتْلِهِ).

(البخاري رقم 1366) (إني خُيرتُ فَاخْتَرتُ لَو أَعلَمُ أَني **إِن زِدتُ عَلَى السبعِينَ يُغفَرُ لَهُ** لَزِدتُ علَيها)

(البخاري رقم 2523) (من أَعتَقَ شِركًا لَهُ فِي مملُوك فَعلَيهِ عِتْقُهُ كُلهُ إِن كان لَهُ مالٌ يبلُغُ ثَمنَهُ **فَإِن لم يَكُن لَهُ مَالٌ يُقَومُ عَلَيهِ قِيمَةَ عَدلٍ** فَأُعتِقَ مِنْهُ ما أَعتَقَ).

وورد جواب (من) مضارعاً مرفوعاً في شاهدين:

(البخاري رقم 1291)(**مَن نِيحَ** عليهِ **يُعَذبُ** بما نِيح عليه)

(البخاري رقم 2553) (**مَن أَعتَقَ** نَصِيبًا لَهُ مِن الْعبدِ فَكَان لَهُ مِن الْمال ما يبلُغُ قِيمتَهُ **يُقَومُ** عليهِ قِيمةَ عدلٍ وأُعتِقَ مِن مالِهِ)

ويلاحظ أن (من) في الشاهدين السابقين يمكن أن تكون موصولية لمجيء الجواب مرفوعاً. ولكنا إذا رأينا الأفعال المضارعة المرفوعة التي وقعت جوباً لـ(إن) و(من) نجد أن معظمها جاءت بصيغة المبني للمجهول: (تُسلطُ) (يُغفَر) (يُقوم) (يُعذب). فلعل هذا يدلّ على أن الفعل المضارع المبني للمجهول يمكن أن يأتي مرفوعاً إذا وقع جواباً للشرط، وبناء على هذا نستطيع أن نقول أن (من) في الشاهدين السابقين شرطية.

أما الفعل المضارع الذي لم يأت على صيغة المبني للمجهول وهو (تسألني) فيحتمل أن تكون العبارة الشرطية (إن أعطيتك ذلك) اعترضت بين اسم لعلّ وخبره. فيكون (تسألني) خبراً لـ(لعلّ) وليس جواباً لـ(إن)، ويتضح الاعتراض على هذا الشكل: لعلّي – إن أعطيتك ذلك- تسألني غيره, وقد تعين اعتراضها في رواية أخرى للحديث حيث جاء الجواب مقترناً بـ(أن). (البخاري رقم 6088 ومسلم رقم 267) (لعلي إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره)، وخبر لعل يأتي مقترناً بـ(أن) كثيراً(6).

وشواهد الفعل المضارع في طرفي التركيب الشرطي قليلة جداً إذا قارنّاها بمجموع الشواهد الواردة التي تبلغ 3271 شاهدا، أما أكثر الصور وروداً فهي الفعل الماضي، ويبدو أن شيوع استخدام الماضي في الجملة الشرطية ليس خاصاً بأحاديث الصحيحين، بل في نصوص لغوية أخرى، ففي كتاب الرسالة للإمام الشافعي مثلاً كانت كل شواهد الجمل الشرطية فيها تستخدم الفعل الماضي، إذا ضُم إليه الماضي معنى (لم + مضارع)(7).

صور أخرى لطرفي التركيب الشرطي الواردة في الصحيحين

بجانب الفعل المضارع هناك صور أخرى لطرفي التركيب الشرطي وردت على أشكال كثيرة في الصحيحين، معظمها تتفق والقواعد التي سطرها النحاة، لكن هناك شواهد قليلة تعد لدى النحاة من الصور الممنوعة أو المختلَفة في جوازها. وتتّضح هذه الصور من خلال عرض طرفي التركيب الشرطي: أي العبارة الشرطية والعبارة الجوابية.

أولاً: من صور العبارة الشرطية الواردة في الصحيحين:

1) صورة العبارة الشرطية: قد + فعل ماض { وردت مع الأداة: (لو) }

من شواهدها: (البخاري رقم 3165) (عن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رضِي اللهُ عنهُما قالَ كان رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ لِي **لَو قَد جَاءَنَا مَالُ الْبَحرَينِ قَد أَعطيتُكَ هَكَذَا** وهكَذَا وهكَذَا).

هذه الصورة مما منعها النحاة، فلا يجيزون أن يلي أداة الشرط حرف التنفيس (السين أو سوف) أو (قد)(8).

2) صورة العبارة الشرطية: فعل جامد { وردت مع الأداة: (أي) }

ورد لها شاهد واحد: (البخاري رقم 2563) (أما بعدُ فَما بالُ رِجالٍ مِنْكُم يشْتَرِطُون شُرُوطًا ليستْ فِي كِتَابِ اللهِ **فَأَيمَا شَرط ليسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ** وإِن كان مِائَةَ شَرط

فَقَضاءُ اللهِ أَحق وشَرطُ اللهِ أَوثَقُ).

هذه الصورة كذلك وردت مخالفة لما ذهب إليه النحاة، حيث جاء فعل الشرط جامداً (ليس) وهم يرون أن فعل الشرط يمتنع أن يكون فعلاً طلبياً أو فعلاً جامداً(9).

ثانياً: من صور العبارة الجوابية الواردة في الصحيحين:

1) صورة العبارة الجوابية: فاء الربط + ماض { وردت مع الأداة: (من) و(إذا) }

ومن شواهدها: (مسلم رقم 1801) (عن أَنَس بن مالِك قالَ لَما أَتَى رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم خَيبر قالَ إِنا **إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَومٍ فَسَاءَ** صباحُ الْمُنْذَرِين)

ويرى النحاة أن الأصل في فعل الجواب الماضي تجرده من الفاء، أما إذا اقترن بالفاء كما في الشاهدين السابقين فيُقدر (قد) قبله(10).

2) صورة العبارة الجوابية: أن + مضارع منصوب { وردت مع الأداة: (لولا) }

ومن شواهدها: (البخاري رقم 1584) (**وَلولا أَن قَومَكِ حَدِيثٌ عَهدُهُم بِالْجَاهِلِيةِ** فَأَخَافُ أَن تُنْكِر قُلُوبُهُم **أَن أُدخِلَ الْجَدرَ فِي الْبَيتِ** وَأَن أُلْصِقَ بابهُ بِالأَرض).

مجيء الفعل المضارع مقترناً بـ(أن) في جواب (لولا) في الحديث السابق يختلف عما ذكره النحاة من أنواع جواب (لولا)(11).

3) صورة العبارة الجوابية: إلاّ + ماض { وردت مع الأداة: (إن) و(من) و(إذا)}

ومن شواهدها: (مسلم رقم 832) (**فَإِن هُوَ قَامَ** فَصلى فَحمِد الله وأَثْنَى عليهِ ومجدهُ بِالذِي هُو لَهُ أَهلٌ وفَرغَ قَلْبَهُ لِلهِ **إِلا انْصَرَفَ** مِن خَطِيئَتِهِ كَهيئَتِهِ يوم ولَدتْهُ أُمهُ).

(البخاري رقم 1934) (**مَن تَوضأَ وُضُوئِي هَذَا** ثُم يُصلي ركْعتَينِ لا يُحدثُ نَفْسهُ فِيهِما بِشَيء **إِلا غُفِرَ لَهُ** ما تَقَدم مِن ذَنْبِهِ).

(مسلم رقم 832) (ما مِنْكُم رجُلٌ يُقَربُ وضُوءَهُ فَيتَمضمضُ ويستَنْشِقُ فَينْتَثِرُ إِلا خَرتْ خَطَايا وجههِ وفِيهِ وخَياشِيمِهِ ثُم **إِذَا غَسَلَ وَجهَهُ** كما أَمرهُ اللهُ **إِلا خَرتْ خَطَايَا وَجهِهِ** مِن أَطْرافِ لِحيتِهِ مع الْماءِ)

وتبين هذه الشواهد أن (إلاّ) تفيد توكيد معنى الجواب، لأن (إلاّ) تحصر الجواب بعدها للشرط قبلها، فكأن ذلك الشرط ليس له جواب إلاّ ما ذكر بعد (إلاّ)، ولم يجد الباحث من النحاة من أشار إلى أن (إلاّ) تأتي لتوكيد معنى جواب الشرط الماضي، فقد أشار المرادي إلى أن (إلاّ) تأتي على ستة معانٍ وهي: الاستثناء، وصفة بمعنى (غير)، وبمعنى الواو، وعاطفة تُشرك في المعنى لا في الحكم، وزائدة، وبمعنى (بعد)(12). وسرد ابن هشام في المغني معاني (إلاّ) في أربعة أوجه وهي: الاستثناء، وصفة بمعنى (غير)، وعاطفة بمنزلة الواو، وزائدة(13).

تقدّم أدوات مختلفة على الجملة الشرطية الواردة

تحدث النحاة عن دخول بعض الأدوات على الجملة الشرطية وحددوا الأدوات التي لها تأثير في تغيير الجملة الشرطية المركّبة لتصبح جملة بسيطة، لأن هذه الأدوات لا تدخل إلا على الجمل البسيطة، وبالمقابل حددوا كذلك الأدوات التي تدخل ولا تؤثر في تركيب الجملة الشرطية(14). ويمكن تقسيم شواهد الجمل الشرطية الواردة في الصحيحين مما اقترنت ببعض تلك الأدوات إلى قسمين:

أولاً: تقدّم أدوات عاملة على الجملة الشرطية

الأدوات العاملة التي وردت في الصحيحين هي: أ- أداة النسخ، ب- أداة الشرط.

أ- تقدم أداة النسخ (إن)

تدخل أدوات النسخ على أدوات الشرط التي أصلها أسماء موصولة وهي (من) و(ما) و(أي) فتخلصها للدلالة على الموصولية(15)، وقد بين ابن السراج تأثير أدوات النسخ في الجانب الدلالي على هذه الأدوات الشرطية، إذ بدخول أداة النسخ على (من) مثلاً يتحدد ويتعين مدلول (من) بعد أن كانت مبهمة وشائعة(16)، نحو: إن من يأتيني آتيه، وكان من يأتيني آتيه، وليس من يأتيني آتيه، برفع الفعل المضارع.

وأداة النسخ التي تقدمت على الجملة الشرطية في الصحيحين هي (إن) فقط، والأداة الشرطية التي وردت هي (من) فقط، ومن شواهدها:

(البخاري رقم 7265) (أَذن فِي قَومِك أَو فِي الناسِ يوم عاشُوراء **أَن مَن أَكَلَ فَلْيتِم بَقِيةَ يَومِهِ** ومن لَم يكُن أَكَلَ فَلْيصُم)

(مسلم رقم 532) (أَلا **وَإِن مَن كَانَ قَبلَكُم كَانُوا يَتخِذُونَ قُبورَ أَنْبِيَائِهِم وَصَالِحِيهِم مَسَاجِدَ** أَلا فَلا تَتخِذُوا الْقُبور مساجِد إِني أَنْهاكُم عن ذَلِك)

ب- تقدم أداة الشرط

ورد شاهد واحد في الصحيحين تقدم فيه الأداة (إن) الشرطية على جملة (لو) الشرطية:

(مسلم رقم 2750) (والذِي نَفْسِي بِيدِهِ **إِن لَو تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذكْرِ لَصَافَحَتْكُم الْمَلائِكَةُ** علَى فُرُشِكُم وفِي طُرُقِكُم).

تقدم حرفان شرطيان (إن) و(لو) على الجملة الشرطية في هذا الشاهد، وهذا من توارد حرفين اتفقا في المعنى الشرطي، أما العمل فهما مختلفان الأول جازم والثاني غير جازم، بيد

أن الصورة الواردة للجملة الشرطية موافقة لـ(لو)، فيمكن أن يقال إن عمل (لو) أغنى عن عمل (إن) أو أنهما ازدوجا في العمل(17) إلا أن الصورة جاءت موافقة لـ(لو) لقربها من المعمولين.

ثانياً: تقدّم أدوات غير عاملة على الجملة الشرطية

الأدوات التي ناقشها النحاة في هذا الصدد هي: (إذ) و(حين) و(إذا) الفجائية و(ما) النافية و(لا) و(أمـا) و(لكن) وهمزة الاستفهام و(هل) و(حتى) (18). ولم ترد في الصحيحين من هذه الأدوات التي ذكرها النحاة إلا (أما) و(حتى).

ومن شواهد تقدم (أما) ما يلي:

أ- تقدم (أما) على (من): (البخاري رقم 4949) (اعملُوا فَكُلٌ مُيسر لِما خُلِقَ لَهُ **أَما مَن كانَ مِن أَهلِ السعَادَةِ فَيُيسرُ** لِعمل أَهل السعادةِ **وَأَما مَن كانَ مِن أَهل الشقاءِ فَيُيسرُ** لِعمل أَهل الشقَاوةِ).

ب- تقدم (أما) على (ما): (البخاري رقم 5496) (و **أَما مَا ذكرتَ أَنكم بِأَرض صَيد فَمَا صِدتَ بِقوسِكَ فَاذكُر اسمَ اللهِ وَكُلْ** وما صِدتَ بِكلْبِك الْمُعلمِ فَاذْكُر اسم اللهِ).

ج- تقدم (أما) على (إذا): (البخاري رقم 5228 ومسلم رقم 2439) (عن عائِشَةَ رضِي اللهُ عنْها قالَتْ قالَ لِي رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم إني لأَعلَمُ إذَا كُنْتِ عني راضِيةً وإِذَا كُنْتِ علي غَضبى قالَتْ فَقُلْتُ مِن أَين تَعرِفُ ذَلِك فَقالَ **أَما إذا كُنْتِ عَني رَاضِيَةً فَإِنكِ تَقُولِينَ** لا ورب مُحمد وإِذَا كُنْتِ علي غَضبى قُلْتِ لا وربِ إبراهِيم).

كل أجوبة الشرط وردت مقترنة بـ(فاء) الربط، فيمكن الزعم بأن هذا من الازدواج الوظيفي، فالطرف الذي اقترن بالفاء يكون جواباً للشرط ويكون في موقع جواب (أما).

ومن شواهد تقدم (حتى) على الجملة الشرطية:

أ- تقدم (حتى) على (لو): (البخاري رقم 7320 ومسلم رقم 3669) (لَتَتْبعُن سنَن من كان قبلَكُم شِبرًا شِبرًا وذِراعًا بِذراعٍ **حَتى لو دَخَلُوا جُحرَ ضَب تَبِعتُمُوهُم** قُلْنَا يا رسُولَ اللهِ اليَهُودُ والنصارى قالَ فَمن)

ب- تقدم (حتى) على (إذا): (البخاري رقم 100) (إن الله لا يقْبِضُ الْعِلْم انْتِزاعًا ينْتَزِعُهُ مِن الْعِبادِ ولكِن يقْبِضُ الْعِلْم بِقَبضِ الْعُلَماءِ **حَتى إذا لم يُبق عَالِما اتخذَ الناسُ رُءُوسا جُهالاً** فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيرِ عِلْمٍ فَضلوا وأَضلوا)

تسمى (حتى) الداخلة على أدوات الشرط عند الجمهور بـ(حتى) الابتدائية، ويستأنف بعدها الكلام وتدخل على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها كالجملة الاسمية والجملة الفعلية والجملة الشرطية. أما ابن مالك فيرى أن (حتى) هذه جارة، ففي نحو حتّى إذَا فَشِلْتُم وتَنَازعتُم (19) يقول إن (إذا) مجرورة بـ(حتى)، وابن هشام يرد هذا الرأي بحجة أنه يؤدي إلى تكّلف إضمار (اسم مجرور) من غير ضرورة، عندما يلي (حتى) جملة فعلية(20).

الجملة الشرطية الواردة في سياق القسم

تعددت آراء النحاة حول قضية اقتران القسم بالشرط مع تعدد صورها، وكان محور خلافهم حول "الجواب المذكور" هل هو للشرط أم للقسم، فبتحديده تتعين شرطية الجملة أو قسميتها(21).

أما ما ورد في الصحيحين من شواهد اقتران القسم بالشرط فهي شواهد قليلة، وجاءت على أربع صور، وهي كالتالي:

1) تقدم القسم على الشرط

ومن شواهدها: (مسلم رقم 1692) (أما **وَاللهِ إن يُمكِني مِن أَحَدِهِم لأُنَكلنهُ عَنْهُ)**

2) تقدم الشرط على القسم

ورد شاهد واحد لهذه الحالة: (مسلم رقم 183) (**حَتى إذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِن النارِ فَوَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُم مِن أَحَد بِأَشد مُنَاشَدَةً لِلهِ** فِي استِقْصاءِ الْحق مِن الْمُؤْمِنِين لِلهِ يوم الْقِيامةِ لإِخْوانِهم الذِين فِي النارِ يقُولُون ربنَا كانُوا يصُومُون معنَا ويُصلون).

3) تقدم ما يطلب الخبر على الشرط والقسم، وتقدم القسم على الشرط

وورد في الصحيحين لهذه الصورة شاهد واحد فقط، وهو:

(البخاري رقم 5518) (**إني وَاللهِ إن شَاءَ اللهُ لا أَحلِفُ عَلَى يَمِينٍ** فَأَرى غَيرها خَيرًا مِنْها إلا أَتَيتُ الذِي هُو خَير وتَحللْتُها).

4) اقتران القسم بالشرط الامتناعي (بالأدوات: لو، لولا، لوما)

ورد فيه شاهدان، مع الأداة (لو) فقط، وهما:

(البخاري رقم 3475) (إنما أَهلَكَ الذِين قَبلَكُم أَنهُم كانُوا إذَا سرقَ فِيهِم الشرِيفُ تَركُوهُ وإِذَا سرقَ فِيهِم الضعِيفُ أَقامُوا علَيهِ الحد **وَايمُ اللهِ لو أَن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحمد سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا)**.

(البخاري رقم 6639) **(وَايمُ الذِي نَفْسُ مُحمد بِيَدِهِ لو قَالَ إن شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرسَانًا أَجمَعُونَ)**.

صور الحذف في الجمل الشرطية الواردة في الصحيحين

تبرز ظاهرة الحذف جلياً في بعض الجمل الشرطية الواردة في الصحيحين، حيث حذف منها بعض عناصر

مكوناتها، وقد كانت صور الحذف الواردة فيها على النحو التالي:

1) حذف جملة فعل الشرط بعد (إما) = (إن + ما).

(مسلم رقم 2161) (كُنا قُعُودًا بِالأَفْنِيةِ نَتَحدثُ فَجاء رسُولُ اللهِ صلى اللهُ علَيهِ وسلم فَقَام علَينَا فَقَالَ ما لَكُم ولِمجالِسِ الصعُداتِ اجتَنِبُوا مجالِس الصعُداتِ فَقُلْنَا إِنما قَعدنَا لِغَيرِ ما باسٍ قَعدنَا نَتَذَاكَرُ ونَتَحدثُ قَالَ **إِما لاَ فَأَدوا حَقهَا** غَض الْبصرِ ورد السلاَمِ وحُسنُ الْكَلاَمِ).

التقدير: إما يكن جوابكم لا فأدوا حقّها

2) حذف جملة فعل الشرط بعد (وإلاّ) = (واو العطف + إن الشرطية + لا النافية).

(البخاري 4747) (يا رسُولَ اللهِ إِذَا رأَى أَحدُنَا علَى امرأَتِهِ رجُلاً ينْطَلِقُ يلْتَمِسُ الْبينَةَ فَجعلَ النبِي صلى اللهُ علَيهِ وسلم يقُولُ **الْبينَةَ وَإلا حَد فِي ظَهرِكَ).**

التقدير: (احضر البينة وإلاّ تحضرها يكن حد في ظهرك) وعلّق ابن حجر على الحذف في هذا الحديث بقوله(22): "وحذف مثل هذا لم يذكر النحاة أنه يجوز إلا في الشعر، لكن يرد عليهم وروده في هذا الحديث".

3) حذف جملة فعل الشرط بعد (وما لا) = (واو العطف + ما الشرطية + لا النافية)

ورد شاهد واحد لهذا الحذف: (البخاري رقم 1473) (إِذَا جاءك مِن هذَا الْمال شَيء وَأَنْتَ غَير مُشْرِف ولاَ سائِلٍ فَخُذْهُ **وَما لاَ فَلاَ تُتْبِعهُ نَفْسَكَ).**

التقدير: وما لا يكن كذاك فلا تتبعه نفسك.

4) حذف المبتدأ من جملة جواب الشرط.

(مسلم رقم 1619) (والذِي نَفْسُ مُحمد بِيدِهِ إِن علَى الأَرضِ مِن مُؤْمِنٍ إِلاَّ أَنَا أَولَى الناسِ بِهِ فَأَيكُم ما تَرك دينًا أَو ضياعًا فَأَنَا مولاَهُ **وَأَيكُم تَرَكَ مَالاً فَإِلَى الْعَصَبَةِ مَن كَانَ)**

التقدير: وأيكم ترك مالاً فالمال يكن إلى العصبة من كان.

5) حذف المبتدأ مع فاء الربط من جملة جواب الشرط

(البخاري 52) (الْحلاَلُ بين والْحرامُ بين وبينَهُما مُشَبهاتٌ لاَ يعلَمُها كَثِير مِن الناسِ فَمن اتقَى الْمُشَبهاتِ استَبرأَ لِدِينِهِ وعِرضِهِ ومن وقَع فِي الشُبهاتِ **كَرَاعٍ يَرعَى حَولَ الْحِمَى** يُوشِكُ أَن يُواقِعهُ).

التقدير: فهو كراعٍ يرعى حول الحمى.

6) حذف الخبر من جملة الشرط الاسمية، وهذا يختص بالأداة الشرطية (لولا) حيث يحذف خبرها إن كان الخبر كوناً مطلقاً، وأما إن كان كوناً مقيداً فلا يحذف(23). ومن شواهدها:

(مسلم رقم 1470) **(لَولاَ حَواءُ لَم تَخُن أُنْثَى زَوجَهَا الدهرَ)**. التقدير: لولا حواء موجودة. والفراء لا يعد هذا حذفاً، لأنه يرى أن (لولا) يرفع الاسم بعده، فيستغني عن تقدير محذوف(24).

7) حذف جملة جواب الشرط في جواب الاستفهام

(البخاري رقم 7135) (ويلٌ لِلْعربِ مِن شَر قَد اقْتَرب فُتِح الْيوم مِن ردمِ يأْجُوج ومأْجُوج مِثْلُ هذِهِ وحلقَ بِإِصبعيهِ الإِبهامِ والتِي تَلِيها قَالَتْ زينَبُ بِنْتُ جحشٍ فَقُلْتُ يا رسُولَ اللهِ أَفَنَهلِكُ وفِينَا الصالِحُون قَالَ نَعم **إِذَا كَثُرَ الْخُبثُ)**. والتقدير: إذا كثر الخبث نهلك.

8) حذف جملة جواب الشرط عند دلالة السياق عليه

(البخاري رقم 6539) (ما مِنْكُم مِن أَحد إِلا وسيُكَلمُهُ اللهُ يوم الْقِيامةِ لَيس بين اللهِ وبينَهُ تُرجُمان ثُم ينْظُرُ فَلاَ يرى شَيئًا قُدامهُ ثُم ينْظُرُ بين يديهِ فَتَستَقْبِلُهُ النارُ **فَمَن استَطَاعَ مِنْكُم أَن يَتقِيَ النارَ** ولَو بِشِق تَمرة). التقدير: فليفعل.

9) حذف جملة جواب الشرط إذا لم يكن الجواب المذكور سبباً حقيقياً عن الشرط

(البخاري رقم 4469) (عن عبدِ اللهِ بنِ عُمر رضِي اللهُ عنْهُما أَن رسُولَ اللهِ صلى اللهُ علَيهِ وسلم بعثَ بعثًا وأَمر علَيهِم أُسامةَ بن زيد فَطَعن الناسُ فِي إِمارتِهِ فَقَام رسُولُ اللهِ صلى اللهُ علَيهِ وسلم فَقَالَ **إِن تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَد كُنْتُم تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِن قَبلُ)**.

التقدير: فلا غرابة في ذلك.

10) حذف جملتـي الشرط والجواب

(البخاري رقم 3222) (عن أَبِي ذَر رضِي اللهُ عنْهُ قَالَ قَالَ النبِي صلى اللهُ علَيهِ وسلم قَالَ لِي جِبرِيلُ من ماتَ مِن أُمتِك لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئًا دخَلَ الْجنةَ قَالَ وإِن زنَى وإِن سرقَ قَالَ **وَإِن).**

التقدير: وإن زنى وإن سرق دخل الجنة.

صور توسيع الجملة الشرطية الواردة في الصحيحين

وردت في الصحيحين شواهد في توسيع الجملة الشرطية، وذلك عندما ينضاف إلى عناصرها الأساسية عناصر أخرى يتطلبها السياق، وهي كالتالي:

1) التوسيع بالحال

ورد الحال في الجملة الشرطية على أنواع وشواهد مختلفة، على النحو التالي:

أ) ورد الحال بعد فعل الشرط باستخدام الفعل المضارع:

(البخاري رقم 3331) (استَوصُوا بِالنساءِ فَإِن الْمرأَةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ وإِن أَعوج شَيء فِي الضلَعِ أَعلاَهُ فَإِن ذَهبتَ **تُقِيمُهُ** كَسرتَهُ وإِن تَركْتَهُ لَم يزلْ أَعوج فَاستَوصُوا بِالنساءِ)

ب) ورد المضارع حالاً بعد فعل الجواب:

(مسلم رقم 602) (إِذَا أُقِيمتْ الصلاةُ فَلاَ تَأْتُوها **تَسعَونَ**).

ج) ورد الحال باستخدام الوصف:

(البخاري رقم 5658) (إِن الإِمام لِيُؤْتَم بِهِ فَإِذَا ركَع فَاركَعُوا وإِذَا رفَع فَارفَعُوا وإِن صلى **جَالِسا** فَصلوا **جُلُوسا)**

د) ورد التوسيع بالحال باستخدام الجملة الاسمية وبواو الحال:

(البخاري رقم 2357) (من حلَفَ علَى يمِينٍ يقْتَطِعُ بِها مالَ امرِئٍ مُسلِمٍ **هُوَ عَلَيهَا فَاجِرٌ** لَقِي الله **وَهُوَ عَلَيهِ غَضبَانُ).**

2) التوسيع بالمعترضات

ورد في الصحيحين بعض الجمل الشرطية القليلة التي توسعت باستخدام بعض المعترضات التي اعترضت بين طرفيها، وهي كالتالي:

أ) الاعتراض بالظرف:

(البخاري رقم 1339) (فَلَو كُنْتُ - **ثَم** - لَأَريتُكُم قَبرهُ إِلَى جانِبِ الطرِيقِ عِنْد الْكَثِيبِ الأَحمرِ)

ب) الاعتراض بجملة اسمية وقعت حالاً:

(مسلم رقم 648) (صل الصلاَةَ لِوقْتِها ثُم اذْهب لِحاجتِك فَإِن أُقِيمتْ الصلاَةُ - **وَأَنْتَ فِي الْمَسجِدِ** – فَصل)

ج) الاعتراض بالعبارة الشرطية:

(مسلم رقم 1134) (فَإِذَا كَان الْعامُ الْمُقْبِلُ - **إِن شَاءَ اللهُ** - صُمنَا الْيوم التاسِع)

العبارة الشرطية (إن شاء الله) يمكن أن نعدها معترضة وسط الجملة الشرطية فيقدر لها جواب يفهم من مضمون الجملة، نحو: إن شاء الله يكن ذلك، ويمكن أن تكون الجملة الشرطية (إِن شَاء اللهُ صُمنَا الْيوم التاسِع) بكاملها واقعة في جواب الشرط الأول. والنحاة يرون أنه إذا توالت عبارتان شرطيتان من دون عطف يحذف جواب أحدهما[25].

د) الاعتراض بالنداء:

(البخاري رقم 2215) (وقَالَ الآخَرُ اللهُم إِن كُنْتَ تَعلَمُ أَني استَأْجرتُ أَجِيرًا بِفَرق مِن ذُرة فَأَعطَيتُهُ وأَبى ذَاك أَن يأْخُذَ فَعمدتُ إِلَى ذَلِك الْفَرقِ فَزرعتُهُ حتى اشْتَريتُ مِنْهُ بقَرًا وراعِيها ثُم جاء فَقَالَ يا عبد اللهِ أَعطِنِي حقي فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْك الْبقَرِ وراعِيها فَإِنها لَك فَقَالَ أَتَستَهزِئُ بِي؟ قَالَ فَقُلْتُ ما أَستَهزِئُ بِك ولَكِنها لَك - **اللهُم إِن كُنْتَ تَعلَمُ أَني فَعلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجهِكَ** - فَافْرُج عنا، فَكُشِفَ عنْهُم)

ورد النداء هنا (اللهُم) مع العبارة الشرطية (إِن كُنْتَ تَعلَمُ أَني فَعلْتُ ذَلِك ابتِغَاء وجهِك) معترضتان وسط الجملة الشرطية (إن كنتَ تعلم إنّي استأجرت أجيراً... فافرج عنّا).

التوصيـات

1) التركيز في بداية تدريس موضوع الشرط للطلاب غير الناطقين بالعربية وللمبتدئين العرب بأدوات شرطية أربع، وهي: (إن، من، إذا، لو) لشيوع استخدامها، وسهولة فهم التركيب الشرطي من خلالها، فيبدأون بالقليل السهل الشائع حتى يفهموا التركيب الشرطي، ثم يدرسون لاحقاً بقية الأدوات الشرطية الأخرى.

2) اعتبار أن الماضي هو الأصل في الجملة الشرطية، ليس بسبب شيوع الماضي في الجمل الشرطية المستخدمة فحسب، بل الأهم من ذلك التخفيف على الطلاب وخاصة المبتدئين منهم من كثرة الغوص في التغيرات الإعرابية، فيركّز الطالب في بداية مرحلة تعلمه لباب الشرط على الجانب الدلالي للجملة الشرطية وعلى مكوناتها الرئيسة، ثم يعرف بعد ذلك أن من طبيعة الجملة الشرطية في اللغة العربية ظهور بعض التغيرات الإعرابية التي تختص ببعض الأدوات الشرطية العاملة حيث تجزم الفعل المضارع الواقع في طرفي التركيب الشرطي، وهذه الحالات من التغيرات الإعرابية حالات يسيرة تقتصر على بعض الأدوات الشرطية فحسب، وعلى الفعل المضارع فقط.

3) ينبغي أن تعاد دراسة أدوات الشرط والقواعد حولها، حتى تكون أكثر التصاقا بواقع استعمالاتها اللغوية، لأن الآراء النحوية المطروحة حولها بعضها يمثل نظرات وصفية قيمة وبعضها الآخر يمثل امتدادا لأحكام وتصورات مسبقة، فالجملة الشرطية عندما ارتبطت دراستها بحركة الجزم أدى هذا التنظير إلى تشتيت جزئياتها على أبواب نحوية ودلالية مختلفة، كما أن الجزم لا يمثل إلاّ جانباً واحداً من جوانب عديدة تحتويها الجملة الشرطية.

4) إن لغة الحديث النبوي بحر واسع مليء باللآلئ والمرجان التي لما تنكشف بعد، فهي مازالت زاخرة بالقضايا اللغوية التي تنتظر الغواصين من الدارسين والباحثين. وقد تنبه الباحث إلى أن هناك جوانب لغوية متعددة لم تنل ما تستحقّه من عناية ودراسة، فمن ذلك مظاهر الحذف، والتقديم والتأخير، وأساليب التوكيد، والقسم، والإيجاز والإطناب، وكلها يمكن أن تدرس دراسة مستقلة متخصصة حتى تُكتشف وتنقّب مجوهراتها الثمينة ولآلئها اللامعة.

الهوامـش

(1) الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ص 199–207.

(2) ليس في (أما) دلالة الشرط، فإن (أما) تدخل على جملة واحدة، فالتركيب: (أما زيد فمنطلق) كان في الأصل قبل دخول (أما): (زيد منطلق)، بينما أدوات الشرط تدخل على جملتين تفيدان معنيين تامين لا رابط بينهما. ينظر: الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ص 236.

(3) الأشموني، شرح الأشموني على ألفي ابن مالك، ج4، ص32 – 52، ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج 2، ص 310 - 337.

(4) الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص 102- 116، وابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، ج 1، ص502 – 511.

(5) المبرد، المقتضب، ج 1، ص 349.

(6) ابن هشام، المغني، ص379.

(7) عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص 106.

(8) الصبان، حاشية الصبان، ج4، ص15.

(9) المصدر السابق، ج4، ص14-15.

(10) الرضي، شرح الكافية، ج2 ص263، الأشموني، شرح الأشموني، ج4، ص22-23.

(11) الأشموني، شرح الأشموني، ج4، ص50، المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 597 – 599.

(12) المرادي، الجنى الداني، ص 510 – 521.

(13) ابن هشام، المغني، ص 98 – 102.

(14) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 74– 83، الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص 394، ابن مالك، شرح التسهيل، ج 3، ص 404– 407، ابن السراج، الأصول في النحو، ج 2، ص 165.

(15) ابن السراج، الأصول في النحو، ج 2، ص 187، ابن مالك، شرح التسهيل، ج 3، ص 406.

(16) ابن السراج، الأصول في النحو، ج2، ص165-166.

(17) عبد السلام، الازدواج الوظيفي لمكونات التراكيب العربية، ص221-222.

(18) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 74 – 83، الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص 394. وابن مالك، شرح التسهيل، ج 3، ص 404 – 407، ابن هشام، المغني، ص 173 – 174.

(19) آل عمران 152.

(20) ابن هشام، المغني، ص 173 – 174، المرادي، الجني الداني، ص552-553.

(21) الرضي، شرح الكافية، ج2، ص391– 394، الأشموني، شرح الأشموني، ج4، ص27–29.

(22) ابن حجر، فتح الباري، ج2، ص308.

(23) ابن هشام، المغني، ص 360.

(24) الرضي، شرح الرضي، ج 1، ص 104.

(25) ابن هشام، اعتراض الشرط على الشرط، ص41-52، ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج1، ص50-51.

المصادر والمراجـع

القرآن الكريم.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط 3، 1407 هـ.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق عبد المحسن الفتلي، 1417 هـ - 1996م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، دار الخير، بيروت، ط 1، 1410هـ - 1990م.

______، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، 1422هـ - 2002م، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط2.

ابن قيم، الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1414 هـ - 1994م.

ـــــ، شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، 1422 هـ - 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.

ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، اعتراض الشرط على الشرط، تح عبد الفتاح أحمد الحموز، 1406هـ - 1986م، دار عمار، عمان، ط 1.

ـــــ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، 1979م، مراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط5.

الأشموني، نور الدين أبو الحسن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ط)، 1974م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، فهرسة محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، 1995م، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

رضي الدين، محمد الاستراباذي، شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ - 1985م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 3، 1408 هـ - 1988م.

الشمسان، أبو أوس إبراهيم، 1410 هـ- 1981م، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، مطابع الدجوي، القاهرة، ط 1.

الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،(د.ط)،(د.ت)

عبد السلام، أحمد شيخ، 1423هـ - 2002م، الازدواج الوظيفي لمكونات التراكيب العربية، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، العدد العاشر.

عمايرة، إسماعيل أحمد، 1996م، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، عمان، ط 1.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق حسن حمد، 1420هـ - 1999م، مراجعة أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.

المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، 1413هـ - 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، فهرسة محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، 1998م، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

Conditional Style in “Al-Saheehayn”
Descriptive and Analytical Sudy

*Yasser Bin Ismaiel**

ABSTRACT

The research aims at studying the conditional sentence in “Al-Saheehayn” and only study the conditional sentences that use the conditional tools set by the grammarians. The research also shows the aspect of the deletion in the conditional phrases and aspects of expansion and concludes by Identifying the research results in the educational and practical fields.

Keywords:Conditional sentences, “Saheeh Bukhaari”, “Saheeh Muslim”.

---

* Department of Arabic Language, International Islamic University Malaysia, Kuala Lumpur, Malaysia. Received on 28/5/2007 and Accepted for Publication on 28/5/2008.